مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث	الموضوع المراهقون والتربية		الرقم
المصدر : الصباح	موقع الواب :		البلد العراق
	التاريخ 10-12-2012	العدد و [ص]:	

ظاهرة التسرب وأسبابها : تسع نقاط مكملات المنهج الدراسي الاساس

جاسم عاصي

لا شك أن ظاهرة التسرب بين تلاميذ المدارس كافة سببت نوعاً من الخسائر التي تندرج في باب التشرد. بمعنى ضياع كثير من القوى البشرية صغيرة السن في مهن غير ذات قيمة إنتاجية. وتـُحيل إلى تشتت بدون عمل وانحراف اجتماعي. وبالتالي يؤدي هذا إلى تفكك الاسرة، حيث تصعب السيطرة على أبنائها. كذلك ما تواجه المجتمع من المشاكل باستمرار. إذ تصل الأفعال إلى حد الجريمة، بسبب ما لهذا التشرد من نتائج وخيمة، تنمو بين أحضانها أسباب الانحراف الاجتماعي الذي يؤدي بدوره إلى الجريمة، ثم الهدر في الطاقة البشرية.

بمعنى ضياع جهد الطاقة البشرية المدخرة للمستقبل،التي تنتجها المؤسسة التربوية، التي تضخ باستمرار عناصر متخصصة فاعلة تـُسهم في بناء المجتمع. ذلك لأنها ـ ـ أي ظاهرة التسرب ـ ـ على المدى البعيد وبالتراكم الكمي الذي يؤدي إلى تراكم نوعي يتمثل في التخلف وضياع الفرص أمام المجتمع والدولة في وضع الخطط المستقبلية التي تعتمد على القوى البشرية. وفي هذا لعبت أسباب كثيرة في إحداث مثل هذا التراكم الذي تواصل منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، شهدت البلاد خلالها ظروفا قاسية كالحروب والحصار الاقتصادي منذ ثمانينيات القرن المنصرم. فقد تصاعدت وتيرة ظاهرة التسرب باستمرار، ولم تـُعالج قط. ولعل الأسباب تكمن في عفوية الظاهرة، لأنها ناتج الظروف الموضوعية، وقصدية الظاهرة، لأنها حصيلة الخطط من خارج الواقع. ففي الأولى لعبت الامكانية الذاتية للتلميذ ومدى استعداده العقلي على استيعاب المادة العلمية، ما أدى هذا إلى حدوث نوع من الشعور بالنقص وبمرور الزمن شكّل عقدة في التعلم أدت إلى الغياب الجزئي والكلي، ثم التسرب النهائي، أو القطيعة مع المؤسسة التربوية .لعبت الظروف الاقتصادية للتلميذ دوراً ، بسبب ضعف دخل العائلة، أو فقدان الأب ما يؤدي إلى التفرغ للعمل مبكراً لإعالة عائلته بديلاً عن الأب أما الثاني ـ ـ أي القصدية ـ ـ فهنالك ظروف خارج نطاق الفرد والمجتمع، وربما المؤسسة التربوية، كامنة في الدولة وسياستها التربوية والثقافية. لاسيما فعالية أذرع التخريب بسبب عدم

التخصص والعمل العشوائي المزاجي والمصلحي.وهي بمثابة أدوات تنفيذ لما تريده النوايا الخارجية التي يهمها أن يكون البلد تابعاً لكي تسهل السيطرة عليه وقيادته في الطريق المطلوب. وما الحروب التي تفعل وتُشن إلا نوع من هذه القصدية. ومنها تخريب البني الاقتصادية. كذلك الأسلوب السياسي المعتمد على المحاصصة الطائفية والحزبية والكتلوية،حيث تأتي هذه بغير ذوي الاختصاص كما حدث في وزارة التربية مثلاً ولعل العقل البشري المنتج لكل هذه البنى،هو المركز الأساسي في عملية التخريب والإمحاء المعرفي، بما فيه الثقافي التربوي.

التسرب والمنهج

يشكل المنهج الدراسي حجر الأساس في كلا المنحيين ؛ للتعقد والتأخر في العملية التربوية. ذلك في ما يخص إمكانياته الموضوعية التي هي ذاتية، إذا ما أخذناها كمتعلق يخص المادة ومجموع المواد المترتبة في المنهج ـ ـ الكتاب المدرسي ـ ـ والمنهج في هذا يحمل الكثير من خصائص إيجابية وسلبية، باعتباره الوجه والمصدر الذي يتداوله التلميذ للوصول إلى كشف نفسه من جراء مفردات المنهج. لذا يمكن تقسيم أسس المنهج على الوجه التالي، آخذين بنظر الاعتبار مكملاته الأساسية: أولاً : كون المنهج تكمن فيه قوة التعلم وحقيقته. فلابد أن تتوفر فيه الدقة العلمية بما فيها الدقة العلمية الصرفة ـ ـ الاختصاص ـ ـ والتاريخية المحايدة والصياغة المناسبة. وبهذا يكون لزاماً على معدي المنهج أن يدرسوا القدرات الفردية والجمعية أي الفروق الفردية، استناداً إلى البنية الموضوعية بما فيها الظروف الاجتماعية وعوامل وخصائص البيئة وتشكلها.، وطبيعة الواقع الذي عليه المجتمع والبلد. فالمنهج لا يمكن إعداده بمعزل عن التلميذ، ونعني عن مجموع تشكلاته. بمعنى يكون المعلم الذي يؤدي المنهج، هو الأكثر قدرة على وضع الأسس في إعداد المفردات، لأنه ذو مساس بواقع التلاميذ، وله رؤية تربوية نتيجة التراكم المهني في الخدمة. وهنا لابد من استفتاء المعلم في نهاية كل عام حول طبيعة المنهج، وما هي المعوقات التي برزت جراء تطبيقه، ثم ما هي المتغيرات الحاصلة في مجال تقبل المادة. وما إلى ذلك من ملاحظات تـُفيد في النظر إلى المنهج على ضوء المتغير الدائم. لأن المجتمع سائر إلى الأمام، وإن توفرت له عوامل التخلف. إن الذي يحدث منذ أكثر من أربعين عاماً محاولات ترقيع المنهج بمفردات تلعب فيها السياسة ونقصد بها سياسة الدولة وحيثيات الواقع دوراً في تفضيل هذه المادة دون غيرها. بينما المطلوب مراعاة حالة التلميذ ومدى استعداده لتقبل هذه المادة أو تلك. وفي هذا المجال ثمة عدم تسلسل منطقي لمفردات المنهج، ونقصد بذلك طبيعة المفردة التي يراعى فيها التسلسل الذي ينمي الوعي والإدراك، ويثير

ملكة التلميذ عبر إثارة الأسئلة الدائمة حول ظواهر الحياة التي يعكسها المنهج. بمعنى محاولة تنمية عقل له القدرة على الاستنباط والبحث والسؤال، وليس التلقين الببغاوي. كذلك العناية بالمفردة المعنية بالأجزاء قبل الكليات من المعلومة العلمية والتاريخية والسياسية والاجتماعية.

كل هذا يحتويه المنهج كأداة ووسيلة لتنفيذ الكثير من الأهداف والقيم. كما وتراعى في هذا الفروق الفردية بين التلاميذ، وذلك في النظر إلى طبيعة المفردات واتساقها مع عقله. مما يوفر الاستجابة لها من خلال ما يتوفر فيها من عناصر التشويق المناسبة.

ثانياً : الأداة أو الآلية المنفذة للمنهج في غرفة الدرس. ونعني فيها المعلم، الذي يتوجب أن تتوفر فيه مجموعة خواص. لعل أهمها الرغبة والمبدئية والمهنية والإنسانية في العمل. وبالتالي يكون إعداده بما يتناسب علمياً ومهنياً، لأداء مثل هذا الواجب الإنساني ثم الوطني. فالأداء داخل الصف يعني العمل على التكيف للخاصية الذاتية التي عليها التلميذ في الفروق الفردية والحالات النفسية المستجدة نتيجة تأثير الواقع المتغير. مما يتطلب أن تكون الطريقة أو الأداة في الأداء متغيرة أيضاً. أي أنها مواكبة للمتغيرات على الصعيد النظري والعملي.

ثالثاً : الوسائل المشوقة والمكملة للدرس. وهي كثيرة ومختلفة في نوعيتها وخصائصها وقدرتها على التوصيل.ومنها الرسوم والتخطيطات والبيانات والمجسمات والتجارب العملية التي تؤدي جميعها إلى تحبيب المادة للتلميذ وتـُجدد طاقاته. إن الوسائل الممكنة لها تأثير في كونها تضيف إمكانية نفسية. لأنها تتعلق بالتغيير الأدائي حصراً، وكسر الروتين أو الرتابة الجارية على أداء موضوع الدرس. كما وأن تغير المكان والخروج إلى الفضاء الخارجي، يساعد على زراعة الرغبة. لأن الطفل ميال إلى التغيير والنشاط التلقائي من خلال إطلاق طاقاته الكامنة التي هي من خصائصه الجسدية والعقلية والعاطفية. فالصف يتوجب أن لا يكون مغلقاً أمام فعالية الأداء واختيار الطرق المناسبة والمفعلة لملكة الاستيعاب والابتكار لدى التلاميذ.

اكتشاف مواهب

رابعاً : الفعاليات والدروس الأخرى، التي هي بقدر ما لها من أهداف جسمية وجمالية، فأنها أيضاً تخلق مناخاً جديداً للدرس العلمي. ومنها درس الرياضة والتربية الفنية والنشيد. ففي الأول تـُكتشف قدرات التلميذ الجسمية وقابليته لأداء نوع من الرياضة. مما يتيح له الانخراط في مجالات اللعب المدرسية. كذلك تنشيط جسمه ودماغه كي يستعد لاستقبال الفعاليات العلمية. أما الثاني، فأنه يكتشف أيضاً المواهب والقدرات الجمالية في الرسم والمسرح، وتنمية ذوق التلميذ في هذا المجال.

أما الثالث فأنه أيضاً يلبي رغبة التلاميذ في مجال الإنشاد والموسيقى، ويزرع في نفوسهم الروح الوطنية، شريطة أن يتم أداء ذلك من قبل معلم متخصص وكفوء، وله موهبة وحرفة في الأداء الموسيقي.

خامساً : طبيعة غرفة الصف، ينبغي أن تكون مناسبة بسعتها وبنائها ونظافة جدرانها وتبريدها وتدفئتها، وحيازتها على كل متطلبات أداء الدرس وشروطه.

سادساً الفعاليات اللاصفية، التي تكون في الصدارة في الأداء التربوي. مثل إقامة المعارض الفنية والاحتفالات الأسبوعية في فترة الاصطفاف الصباحي أو المسائي، وتنظيم النشرات الجدارية وإقامة مسابقات في هذا الجانب أو في الجانب الرياضي.إن الفعاليات اللاصفية تـُشكّل الأساس الروحي في زرع الحب والرغبة والتودد للمدرسة والدرس. إن أداء دروس الفنية والرياضة والنشيد بالطريقة الجيدة والدقيقة، يدفع إلى اكتشاف المواهب وينميها في آن واحد. وهو بدوره يحقق ما يرضي ويصبو إليه التلميذ، ويشده إلى المدرسة.

المعلم الجامعي

سابعاً : الاهتمام بمشاكل التلاميذ الفردية والجمعية. وللأسف إن هذا الجانب معدوم في المدارس. حتى مرشد الصف أو المرشد التربوي يكاد ينصهر في الروتين أثناء أدائه لعمله، ويصبح أداة بيد مدير المدرسة. إذ نجد في المدارس الابتدائية التي يتفشى فيها التسرب، لا يتوفر فيها مرشد تربوي، مقابل حالة البطالة من خريجي معاهد المعلمين. وفي هذا يمكن الاستفادة من المعلم الجامعي، وخريج الكلية المفتوحة للمعلمين، من خلال زجهم في دورات اختصاصية في الارشاد التربوي. إن أداء البطاقة المدرسية لا تتوفر فيها العلمية والدقة والسرية. فالمعلم يمارس العمل بها بمعزل عن التلميذ إلا ما ندر من حالات لا تشكل ظاهرة. إذ المطلوب مسك سجل تدون في صفحاته معلومات عن كل تلميذ، تـُعين المعلم في نهاية السنة معرفة كل ما من شأنه تشخيص شخصية التلميذ، لكي تكون مادة معينة للمعلم في المرحلة اللاحقة وهكذا.

ثامناً : دور إدارة المدرسة في كل شؤون المدرسة، بما فيها مراقبة الدرس، وتوفير التسهيلات وملاحقة ما اتخذته من قرارات، ومتابعة أداء فعاليات مجلس الآباء والمعلمين بشكل جيد وعملي. وأن لا تكتفي الإدارة بالعلاقة مع أولياء الأمور من خلال المجلس المنعقد مرتين في السنة فقط، وإنما عبر تنظيم مستمر، وتعيين من يتولى هذا من المعلمين وأولياء الأمور.

تاسعاً : يبدو أن العلاقة بين المؤسسة التربوية وبقية المنظمات ذات الاتجاه الثقافي التربوي غير

فاعلة. الأمر الذي يتطلب الاستفادة من هذه المرافق لتوعية التلاميذ، والاستفادة من دورياتها وفعالياتها الثقافية. وهذا بطبيعة الحال يقع على عاتق المدرسة والمؤسسة نفسها. ومنها دار ثقافة الأطفال ومؤسسة اليتيم العراقي والمدارس الأهلية واتحاد الأدباء والكتاب ونقابة الفانين والتشكيليين ونقابة المعلمين وبعض منظمات المجتمع المدني ذات الشأن.
وأن تكون هذه العلاقة بعيدة عن مبدأ إسقاط الفرض في العمل الوظيفي.
إن إدامة الصلة مع هذه المؤسسات يُغني التجربة التربوية، لما لهذه المؤسسات من اختصاصات وبرامج تـُفيد في زيادة وعي التلاميذ.

التسرب والجانب الاقتصادي

لعل الجانب الاقتصادي، ونعني به الحالة المعيشية للتلميذ. وهي واحدة من أهم العوامل المسببة والدافعة للتسرب. فالتلميذ الذي يواجه الظروف المعيشية الصعبة تدفعه للتفكير في الحل الذي يبعد عن العائلة شبح الجوع والحرمان، حتى لو كان ذلك بدون وعي. بل محكوم بالدوافع اليومية للحاجة إلى المال. فمجمل العوائل قد ورثت مثل هذا الحال نتيجة تفاقم الحروب.والحصار الاقتصادي.
وكان هذا له علاقة مباشرة في التقليل من دخل الطبقات والفئات الفقيرة من المجتمع. وهذه الأسَرْ هي من وقع عليها الحيف في العوز والجوع والفقر. ما دفعها إلى زج أبنائها للعمل من أجل تسديد حاجات الأسرة. وبطبيعة الحال كان الضحية الأولى هو الابن الصغير الذي لجأ إلى الانخراط في الحياة، وترك مقعد الدراسة، وتفعيل ظاهرة لتسرب.

التسرب والأداء

في العملية التربوية، يكون دور المعلم هو الأداة والآلية الأساسية في المدرسة. فالإدارة مهما كانت حازمة ومتجددة في أدائها وقيادتها، فقد يتعذر عليها متابعة المعلم في كل شيء. فالمعلم هنا يمتلك خصائص ذاتية وموضوعية أيضاً . ففي المجال الذاتي ؛ كونه يمتلك الاستعداد في اختيار مهنة التعليم كرسالة إنسانية. أما في الجانب الموضوعي فنعني به إعداده إعداداً يمكّنه من أداء دوره التربوي. فهو يعتبر غرفة الدرس بمثابة المختبر الذي يجرب داخله أفكاره وتحضيراته، بما يتطلب وضع التلميذ. فهو يعد الخطط المبتكرة والوسائل المستحدثة من أجل إيصال المادة للتلاميذ. من هذا يمكن وصفه بصانع العقول وصائغها، وزارع الأخلاق الفاضلة. إن المعلم بما يبتكره من وسائل جديدة، إنما يسهم في زرع الرغبة لدى التلاميذ وزيادة تحببهم للمدرسة والدرس، فكيفما يكون

المعلم يكون التلميذ فهو مرآة له. وبعكسه يكون الهروب من المدرسة والتغيب المتواصل، والطريق لاستفحال ظاهرة التسرب وانتشارها. ولا يقتصر الأداء على المعلم فحسب، وإنما يشمل إدارة المدرسة والمرشد التربوي، بما يعدونه من خطط جديدة ومبتكرة وبعيدة عن التنميط، لإنجاح العملية التربوية وتواصلها على الطريق الصحيح. وهنالك بطبيعة الحال وسائل كثيرة، منها شائعة، وتشكّل أساسيات وجود المؤسسة التربوية، وأخرى مبتكرة تستحدثها المستجدات والحالات التي تظهر نتيجة العمل الجاد في المدرسة. ولكل عنصر في المدرسة أداؤه الخاص على وفق تخصصه. وبمجموع هذه التخصصات يكون الأداء العام أكثر معقولية، وأكثر قدرة على الوقوف أمام الحالات السلبية. بل يجري العمل على تركيز الجوانب الايجابية. مما يسهم في نجاح العملية التربوية، ويؤهلها للوقوف أمام ظاهرة التسرب بكل قوة وعملية.

إن دراسة كل ما تقدم من البحث، يمكن اعتباره وجهاً أخر للحلول والمقترحات الناجحة، التي بدورها تتصدى للظاهرة. فالحالات السلبية المنوه عنها في ما تقدم، تجد لها الوجه الايجابي، إذا ما أخذ بنظر الاعتبار تعميق الايجابيات.